

الاسلام بين الارقاء السود فى شمال امريكا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

ليس ربط قسم من سود أمريكا أنفسهم بالعالم الاسلامى العربى فى القرن العشرين بظاهرة تعوزها سوابق تاريخية تماما . بالنسبة الى عبيد الولايات المتحدة مثلا، قد أكد تشارلز سلبيرمن مؤرخ ابيض لليقظة الزنجية المعاصرة، أن قسما من الزوج التي جاء بهم النخاسون البيض من القارة السوداء عبر المحيط الاطلسى مقيدين كانوا مسلمين يقرأون اللغة العربية رغم اننا لانعرف مقدار عدد هذه الفئة (Crisis in Black and White 1964—PP80—81) ولم يعوز ظاهرة اسلامية جزء من السود الذين حملوا على سفن النخاسين الى حياة الاسترقاق فى عالم امريكا الجديد من ذكر احفادهم بها من مؤلفى القومية السوداء حتى فى القرن التاسع عشر . فنجد ادوارد و. بليدين (Edward W. Blyden) فى كتابه (Christianity, Islam and the Negro Race) "النصرانية والاسلام والعرق الزنجي"، الذى نشره سنة ١٨٨٧م مثلا يقتطف لهذه الغاية من كتابات المستكشف الاسكتلندى العظيم ما نغو بارك Mungo Park (١٧٧١ - ١٨٠٦) الذى فى اصعاده لنهر النيجر مرتين، فى اواخر القرن الثامن عشر . وفى العقد الاول للقرن التاسع عشر رأى مناطق هى تشكل فى عصرنا هذا أجزاء من اراضى دولات غامبيا و نيجر ومالى لم يخترقها من قبل أى انسان ابيض . قد لاحظ ما نغو، كتب الى الاسود بليدين بنبرة انتصار، ان السفينه التى عاد بها من افريقيا حملت بين ١٢٧ مسترقا اسود معظمهم من سواحل سينيغامبيا وان استطاع ١٨ افريقيا عددهم قراءة العربية و كتابتها بطلاقة : و لكن ما نغو أبصر ان الربا

الايض للسفينه" رسي كتب العبيد السود في امواج البحر لكي لا تمرض قلوبهم قراءتها في حياة الاسترقاق التي انتظرتهم في عالم جديد. حسب مانغو بارك، كان سبع العبيد السود في جزر الهند الغربية، التي قد استلمت الاراضي المشكله" للولايات المتحدة اليوم منها كثيرين من عبيدها، يستطيعون في عهده قراءة انجيل (!) بالعريه" ان وضع في ايديهم (بليدن : اعاده طبع مطبعه" جامعه" دنبرا ص ٢٢٧) .

صح ان بليدن (١٨٣٢م - ١٩١٢م) نفسه لم يولد في الولايات المتحدة بل كان من سود جزر الهند الغربية المنحدرين من أصل أفريقي، وان كانت افريقيا الغربية (ليبريا و سيراليون) مقر حياته المميه". ان بليدن هذا القوسي الامريكي الافريقي الرائد اثار ضجات متتاليه" في أفريقيا و في العالم الغربي من خلال مؤلفاته التي طرح فيها اطروحه" عدم مناسبه" مسيحيه" الغرب ("تلك الديانه" الآريه"،) للمزاج الافريقي الذي رأى بليدن ان الاسلام والثقافه" العريه" الذين كانا في طور التقدم والانتشار في غرب افريقيا عندئذ هما خير تعبير عنه، موقنا على اى حال . و لكن اتاحت حياة بليدن كقوسي أسود جذرى له ان يحقق و صلابين تجربته الافريقيه" و فكره الافريقي والاسود القوسي و بين اقليه" الامريكين الافارقة" السود في الولايات المتحدة . والواقع أن حياته كداع الى الزنجيه" ابتدأت حين اعجب به قس مشيحي Presbyterian امريكي صادفه فنقله الى الولايات المتحدة لتربيته" جامعيه" هناك في ١٨٤٧ : و لكن بليدن وجد العنصرية" تسده من دخول جامعه" فهاجر الى ليبريا سنة ١٨٥٠ م . و لكن رغم كل شواغل امانته لكليه" تبشيرية" امريكيه" هناك، و انتخابه سنة ١٨٦٢م الى بروفيسوريه" في كليه" ليبريا و تعيين سنة ١٨٦٤م وزير خارجيه" ليبريا، و عمله

بعد ١٨٧٧م سفيرا مطلق السلطة لجمهورية ليبيريا فى انكلترا و نشاطاته السياسيه
المحمومه بعد ترشيحه مرشحا للحزب الجمهورى الليبيرى لرئاسه الجمهوريه
سنه ١٨٨٥م رغم كل هذه الشواغل لم ينس بليدن أبدا سود الولايات المتحده .
ففى فترة اوج ابتكاره الرائد بين ١٨٧٢م و ١٨٨٨م زار بليدن الولايات المتحده
احدى عشر مرات، ناشرا فكره أن الامريكيين الافارقه ليسوا الا جزءا من امه
زنجهيه عالميه تقطن أفريقيا و منفى شمال و جنوب امريكا فى وقت واحد ! ولا ريب
ان بليدن، الذى دعا الامريكيين الافارقه الى العوده الى وطنهم الاصلى، الى
قارتهم الام افريقيا التى حدد شخصيتها الى حد بعيد ضمن اطار الاسلام والعروبه،
أضطلع بدور حاسم فى تمهيد السبيل فكريا الى اهتمام مؤلفين زنجيين من نوع
دو بويز Du Bois و د . كارترجى و ودسون بنشر عرفان بتاريخ أفريقيا بين مثقفى
سود الولايات المتحده، كما اثر أيضا على مستوى أقرب الى جماهير سود الولايات
المتحده فى مضمون حركه "العود الى افريقيا، التى قادها ماركوس غارفى
عشرينات هذا القرن . لم تكن اشادة بليدن باسلاميه مناطق شاسعه لافريقيا
الغريبه السوداء التى كان تكلم بعض العبيد المحمولين الى العالم الجديد بالعربيه
و ايمانهم بالاسلام مظهرا لها . لم يكن لاقوال بليدن فى هذه النقطة ان يعوزها
تأثيرها فى تحديد الامريكيين الافارقه لمضمون زنجيتهم أو ماضيهم الافريقى .
فى صدد قضيه اسهام بليدن فى بقاء وعى معين بين سود الولايات المتحده
باسلاميه فئه من أجدادهم الافريقيين المستعبدين .

يكون من الملحوظ ان بليدن كان من بين مؤسسى الجمعيه الزنجيه للبحوث
التاريخيه سنه ١٩١١م، كان من الاعضاء التأسيسيين الاخيرين المصرى - السودانى

المسلم دوس محمد افندى الذى أصبح فيما بعد من بين ابرز واضعى عقائديه "حركة" غار فى التى أنضم فيها كذلك الصحفى القومى الاسود المحنك جو ادوارد بروس، متعاون مع بليدن فى تحقيق تأسيس كنيسة "زنجيه" سوداء منفصلة" عن كنائس الغرب البيضاء .

كان التبرير التاريخى لارتباط من طرف سود العالم الامريكى الجديد بالعالم الاسلامى أو كيان اسلامى دولى اكثر ثقلا و خطورة بالنسبة الى امريكا اللاتينية" و خاصة" البرازيل . فرغم اننا نجد فى كوبا مثلا استعمال اللغة" العربية" الى جانب اليوروبية" او الايبو (اى لغات غرب افريقيا التى كانت واسطة" للعبادات الوثنيه") كغته" مقدسه" لبعض الطوائف الدينيه" السريه" و بينما نجد من مصادر عهد الاسترقاق فى بر شمال امريكا، اى الولايات المتحدة أسماء و تواريخ عبيد سود مسلمين نطقوا بالعربية"، الا ان للبرازيل ميزة على كل من الولايات المتحدة او هايتي او جزر أخرى فى بحر القربان أو جزر الهند الغربية" يسكن فيها مجموعات من عبيد مسلمين سود — أى أن المسلمين السود فى برازيل تمكنوا رغم قساوة ظروف منقاهم من القيام بانتفاضات مسلحة" و من تنظيم مدارس سريه" للقرآن الكريم و الحروف العربية" وصلت الاسلام الى الاجيال الجديدة من الارقاء الذين ولدوا فى برازيل .

لم تكن العناصر الاسلاميه" بين العبيد السود فى مستعمرات بريطانيا فى أمريكا الشماليه" على نفس التركيز السكانى او التنظيم البادين بين العبيد السود فى برازيل . استنتاج عالم الاجتماع البرازيلى فرير أن "ممثل الثقافة" المحمديه" لم يكونوا حاضرين بنفس الكثرة فى شمال امريكا الانكليزية"، التى

كانوا يوجدون بها في برازيل : على كل حال لم يستطيعوا ان يعبروا عن دين الاسلام ثقافيا او أن ينقلوه الى جيل جديد من خلال اقامه نوع المدارس العربية (القرآنية) السريه او المصليات والمساجد السريه التي نظمتها دعاة الاسلام السود في برازيل والتي شكلت اساسا ثقافيا لحركات و منظمات تحريره سوداء . فيرى فريان هذه المدارس البرازيليه تدل على وجود صفوة اسلاميه دينيه حقيقيه في برازيل انعدمت في المناطق التي أصبحت الولايات المتحدة . من التعليقات ذات رنه معقوله لعدم بلورة انظمه اسلاميه دينيه بين عبيد شمال أمريكا السود تبين التجربه السوداء في كل من برازيل و شمال امريكا الانكليزيه اذ أتى بالعبيد السود الى برازيل مباشرة ولم يمنع المستوطنون البرتغاليون هناك تجمع مجموعات من عبيد من مناطق متلاصقه في افريقيا، مما مكن العبيد في برازيل من التمتع بحياة قومية والاحتفاظ بمقومات شخصياتهم الافريقيه اللغويه والثقافيه الى حد لم يسمح به في مستعمرات انكلترا .

فمعظم العبيد الذين جي بهم الى قارة أميركا الشماليه لم يأتوا بر القارة مباشرة من أفريقيا بل بطريق غير مباشر بعد فترة سابقه من ترويض للاستعباد Slave breaking أو Slave Seasoning في جزر الهند الغربيه خططت قساواتها لاعدادهم لحياة عبوديتهم القادمه في العالم الجديد، في ولايات كارولينا أو ماريلند او فيرجينيا الى آخرها . فحبذ سيرهانزسلون رئيس الجمعيه الملكيه في بريطانيا سنه ١٧٠٧م العقابات التي كان بيض جزيرة جامايكا يفرضونها على عبيدهم السود، "هذا الجيل من ناس شاذين للغاية"، كما وصفهم : سمر عبيد تمردوا الى الارض و احراقهم صبرا الى الموت بنيران بطيئه تتصاعد شيئا فشيئا من الاقدام والايدي الى الرأس، خصى من اقترف "جرائم من درجه أخف أو قطع

قدم من قدميه بفاس، للمهروب إحكام حلقات حديدية ذات وزن مرهق حول كواحل أقدامهم أو ثقب أفواههم بمهاميز. لاغفال من عبد، جلد حتى الادماء و انكسار بضعة اسواط، كان بعض الملاك يتبعونه بوضع الملح و دقيق الفلفل فى الجروح الدامية، كان بعض الملاك الأخرين يقطرون الشمع المذوب المحرق على جلود عبيدهم، . (٨١ - ٧٩ . PP Douglas Grant. The Fortunate Slave

و عساه كان للقساوات المخططة الفريدة التى عاناها العبيد السود فى جزر الهند الغربية قبل نقلهم الى برقارة شمال أميركا اثرها البعيد فى تكسير مقاومه العبيد الثقافية واصالاتهم القومية فى عالمهم الجديد العدائى .

و لكن، مع كل عملية ترويض العبيد هذا - كل هذه القساوات و كل نزع لهوياتهم اللغوية والدينية السابقة التى جرت فى جزر الهند الغربية أو فى برقارة شمال امريكا نفسه فاسهمت فى خلق وضع نجد البعث فيه يعينون تأثيرات أفريقيا الثقافية فى سود برازيل حسب ترتيب القبائل الافريقية الاصلية، قبيله قبيله فى حين يتنازعون حتى حول وجود أى استمرارية ثقافية بين سود الولايات المتحدة والقارة الافريقية التى انجبت اجدادهم - علينا ان لانسى رغم تباين الوضعين هذا ان وجدت عناصر اسلامية ذات بال بين الافارقة الذين استعبدتهم الانكليز وأرسلوهم الى شمال اميركا . فكأن الطبيب كولنز Collins فى كتاب "قواعده العملية"، لتدبير العبيد السود اشار الى وجود عبيد فولانيين مسلمين ليسوا ذوى الدماء الزنجية النقية بين العبيد فى مستعمرات انكلترا فى جزر الهند الغربية اذ وصف جنسا من الارقاء لهم ملامح تشبه ملامح البيض واجساما طويلة فارعة . "يتكلم الكثيرون منهم باللغة العربية و قد حصل بعضهم على قدر من الثقيف مكنهم من ان يكتبوا بها . هم جيدون لرعايه المواشى

والاحصنه" و للخدمه المنزليه رغم انهم غير صالحين لاشغال الحقول الاثقل
 خشونه". (Grant P. ٨١) و كان سلاك الارقاء بصورة مماثله
 يفضلون زوجا سنغاليين ذوى "قطرة من دم العرب"، للخدمه فى المنازل باعتبار
 "ذكائهم الفائق"، فى اراضى الولايات المتحده العاليه، فى جنوب كارولينا كانوا
 يفضلون زوجا من غامبيا، و خاصه المندنغويين المشهورين، الذين كان قسم
 ليس صغيرا منهم مسلمين يعرفون العربيه. صح ان فريز ينكر وجود صفوة من
 مسلمين سود مثقفين كان بمكنته التأثير فى جماهير السود المستعبدين او صبغهم
 ثقافيا من خلال مدارس او مصليات سرية او تنظيمهم فى حركه تحريره كما
 نجحت فى انجازه اقلية المسلمين المثقفين العربيه فى برازيل فى القرن التاسع
 عشر. و صح ان المسلمين بين العبيد السود فى اراضى الولايات المتحده الذين
 نسمع باخبارهم حين تقلبنا لصفحات المصادر الثانويه او الاوليه ليسوا جماعات
 من مؤمنين يصلون معافى مساجد سرية ولكن افرادا صلوا وحدهم بين عبيد
 وثنيين او متمسحين ولم يؤثروا، غالب الاثابيين، فى غيرهم من العبيد. و لكن
 كان لهؤلاء العبيد المسلمين، وان لم يوجدوا بكثرة المثقفين المسلمين الهاوسويين
 او الفولانيين او اليوروبيين فى برازيل، وجود لاينكر. فجمع فى القرن التاسع
 عشر مثلا ثلثه بحاث هواة فى علم العناصر (العروق) Amatur Ethnologists
 ثيودور دويت Theodore Dwight و وليام براون هجسن William Brown Hodgson
 و جيميز هملتن كوپر James Hamilton Couper اخبار عدد من اولئك العبيد
 المسلمين السود. فى مجله The Methodist Quarterly Review عدد يناير ١٨٦٤ م
 هاجم دويت فكرة "عجز، الزوج، مصرا على المستوى العالى الذى ميز كلا من
 حضارتى الاسلام والوثنيه فى افريقيا. فقص دويت قصه بعض العبيد المسلمين

الذين قد صادفهم و عرفهم شخصيا، ملاحظا ان "قد كان بين ضحايا تجارة
الاسترقاق بيننا رجال ذوو علوم وذوو اخلاق نقيه" عليه عاملهم كأئهم حيوانات
الحقل أناس ادعوا ديانه" انقى، .
